

حماية البيئة في مقاصد الشريعة الإسلامية (مدينة مصدر أنموذجاً)

Environmental protection in the purposes of Islamic law (Masdar City as an example)

وديمه غانم بن حموده الظاهري*

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة،

wadeema.al dhaheri@mbzuh.ac.ae

تاريخ الاستلام: 2020/11/23 تاريخ القبول: 2020/12/20 تاريخ النشر: 2021/03/30

الملخص:

يعد هذا البحث من البحوث التي تسلط الضوء على قضية حماية البيئة من خلال ربطها بمقاصد الشريعة الضرورية، وإظهار العلاقة بينهما، مع التطبيق على أرض الواقع من خلال عرض أنموذج مشروع "مدينة (مصدر)" من جانب الشريعة الإسلامية، وذلك لإخراج دور المقاصد من دائرة النظر إلى الواقع العملي، وإظهار العلاقة المتبادلة بين المقاصد الضرورية وحماية البيئة، بتأصيلها من الكتاب والسنة، وربطها بالحقائق العلمية والمشروعات والخدمات والأبحاث التي تعمل (مصدر) على تقديمها لأبوظبي والعالم.

الكلمات المفتاحية: حماية البيئة؛ الطاقة المتجددة؛ الطاقة التقليدية؛ طبقة الأوزون؛ دولة الإمارات العربية المتحدة.

Abstract:

This research is considered one of the research that sheds light on the issue of environmental protection by linking it to the necessary objectives of Sharia, and showing the relationship between them, with implementation on the ground by presenting the model of the "Masdar City" project on the part of Islamic law, in order to remove the role of the objectives from the circle Looking at the practical reality, and demonstrating the mutual relationship between the necessary purposes and the protection of the environment, by originating them from the

* المؤلف المرسل

Qur'an and Sunnah, and linking them to scientific facts, projects, services and research that Masdar is working to provide to Abu Dhabi and the world.

Keyword : environment protection; Renewable energy; Conventional energy; Ozone Layer; United Arab Emirates.

المقدمة:

خلق الله تعالى الإنسان ووفر له كل السبل والوسائل للحياة والعيش على الأرض، ووضع له التشريعات والقوانين من الأوامر والنواهي التي تصون حياته وتحافظ عليها، فقال تعالى في ذلك: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾¹.

وإذا نظرنا إلى البيئة في الإسلام نجدها قد حظيت باهتمام ورعاية غير مسبوقة، فهي إحدى نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان، ومن واجباته المحافظة عليها بعدم إفسادها أو إتلاف عناصرها لقوله سبحانه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾².

وتعد قضية البيئة وما أصابها من تلوث واحدة من أهم مشكلات العصر التي تزايد الاهتمام بها نتيجة للتطور الصناعي والازدياد السكاني، مما ترتب على ذلك زيادة استخدام وسائل النقل المختلفة وارتفاع نسبة التلوث البيئي نتيجة لذلك، الذي أدى بدوره إلى تلوث الغذاء وانتشار الأمراض الوبائية، فجاءت الشريعة الإسلامية متمثلة بالمقاصد الضرورية لتحديد الأحكام والتشريعات الأساسية والمنهج الصحيح لحماية البيئة والمحافظة عليها.

مشكلة البحث:

إن موضوع حماية البيئة يعد من الموضوعات المثيرة للبحث والدراسة، نظرا لما تطرحه من إشكالات علمية حول منهج تطبيقها في مختلف مجالات الحياة الإنسانية المعاصرة، ويأتي هذا البحث ليجيب عن الإشكالية العلمية التالية:

هل مفهوم البيئة في المنظور الإسلامي قادر على مواجهة التحديات البيئية كزيادة الطلب على الطاقة والمياه، وهل تستطيع تلبية حاجات الإنسان المعاصر من الموارد

¹ سورة الأعراف: 157.

² سورة البقرة: 60.

الطبيعية مع الحفاظ على تلبية حاجات الأجيال القادمة؟ وهل تمثل مدينة (مصدر) أنموذجاً مناسباً لحماية البيئة؟

أهمية البحث: وتكمن أهمية البحث في كونها تتناول حماية البيئة من جانبين اثنين:
الأول: نظري تأصيلي في إبراز رؤية الإسلام للبيئة والحفاظ عليها بالوصف واستنباط هذه الرعاية من القرآن الكريم والسنة النبوية
الثاني: تطبيقي يرصد تجربة دولة الإمارات العربية في حماية البيئة من خلال مدينة (مصدر).

هدف البحث:

إبراز جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في حماية البيئة، يعد هذا البحث أول بحث يتناول مدينة (مصدر) في استخدام الطاقة المتجددة، التي من خلالها تطبيق لمقاصد الشريعة الإسلامية.
الدراسات السابقة: كثرت الأبحاث والدراسات حول موضوع حماية البيئة في الشريعة الإسلامية:

1. الإسلام والبيئة (دراسة علمية إسلامية طبية)، دكتور السيد الجميلي، الطبعة الأولى مركز الكتاب للنشر - مصر، 1997م. هذا الكتاب تناول نظرة الشريعة للبيئة من خلال الاهتمام بصحة الإنسان، من سلبياته قلة الأدلة العلمية.
2. الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي، الطبعة الأولى، أكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية- الرياض، 1999م. تناول الكتاب جانب حفظ البيئة من رؤية إسلامية، فعرض النصوص من الكتاب والسنة النبوية في دور الإسلام في المحافظة على البيئة، أغفل الكاتب الجانب العلمي في تعريف البيئة والتلوث. استفدت منه في عرض دور الشريعة في حماية البيئة.

3. قضايا البيئة من منظور إسلامي، بدوي محمود الشيخ، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع- مصر، 2000م. تناول الكتاب حفظ البيئة في الإسلام من خلال التركيز على دور علماء المسلمين في ذلك، ومن سلبياته انه ذكر معالم المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة بأدلة من القرآن والسنة، بدون تفسير أو شرح، ولا حتى بإضافة تعليقه الشخصي عليها. افادني البحث في معرفة دور علماء المسلمين من خلال مؤلفاتهم.

4. البيئة من منظور إسلامي، عبد الله المنزلاوي، عمان، الأردن - دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، 2008م. عرض الكتاب البيئة والإنسان في التصور الإسلامي، مع ذكر ثلاثة أنواع من التلوث (الهواء والماء والتربة)، تميز هذا الكتاب بربطه بين البعد الروحي والمادي للبيئة في التصور الإسلامي، لكنه أغفل ذكر الجانب العلمي في كثير من جوانب مشكلة التلوث، واستفدت منه في عرضه لمنهج الإسلام في حماية البيئة.

5. مقاصد الشريعة لأبعاد جديدة، دكتور عبد المجيد النجار، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008م. تضمن الكتاب ستة أبواب، عُرضَ في بدايته مدخلاً إلى مقاصد الشريعة، ثم مقاصد الشريعة في حفظ قيمة الحياة الإنسانية، ثم حفظ الذات الإنسانية، ثم حفظ المجتمع، وحفظ المحيط المادي، أما الباب السادس والأخير فقد كان في تفعيل دور المقاصد. وقد تناول المؤلف مقصد حفظ البيئة من خلال الباب الخامس (مقاصد الشريعة في حفظ المحيط المادي).

6. البيئة من المنظور الشرعي وسبل حمايتها في الإسلام، أبو نصر عبد العزيز فاضلي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، 2009م. تضمن الكتاب خمسة فصول بين فيها المؤلف مفهوم البيئة وتطورها التاريخي، وأسباب ومظاهر فساد البيئة من المنظور الشرعي، ثم مكانة البيئة في التشريع الإسلامي ودور القواعد الشرعية في ضبط التوازنات البيئية ووسائل حماية البيئة.

7. حماية البيئة الطبيعية في الشريعة الإسلامية دراسة فقهية مقارنة، صفاء موزة، الطبعة الأولى، دار النوادر- دمشق، 2010م. قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول تناول فيها التعريف بالبيئة والمسؤولية البيئية، ثم عرض منهج الإسلام في التعامل مع البيئة وبين المشكلة البيئية من خلال القواعد الفقهية. تميز الكتاب بعرض المصطلحات العلمية كالبيئة والمسؤولية البيئية والموارد، ويؤخذ عليه اقتصاره في عرض حماية البيئة في الإسلام من خلال ثلاث قواعد فقهية فقط.

منهج البحث: لقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المناهج العلمية، من ذلك ما يلي:

المنهج الوصفي: اتبعت هذا المنهج في وصف موضوع حماية البيئة ودراسة المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بها، والتعريف بمقاصد الشريعة الإسلامية.

المنهج التحليلي: اعتمدت هذا المنهج في تحليل الآراء والتوجهات المتعلقة بموضوع حماية البيئة بشكل عام، ثم في تحليل أنموذج مدينة مصدر للكشف عن تطبيق مقاصد الشريعة الإسلامية فيها.

المنهج الاستقرائي: تم اتباع هذا المنهج في استقراء النصوص الشرعية للوقوف على الشواهد القرآنية والحديثية للتأصيل لموضوع البيئة، بالإضافة إلى استقراء النصوص الفقهية والتراثية للكشف عن مدى تفاعل التشريع الإسلامي مع موضوع البيئة.

تقسيم البحث: قسم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة:

المطلب الأول: مفهوم البيئة في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: مفهوم مقاصد الشريعة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث: البيئة في المقاصد الضرورية الخمس.

المطلب الرابع: مدينة (مصدر) أنموذج دولة الإمارات العربية المتحدة في حماية البيئة.

وفي الأخير خصصت الخاتمة للنتائج وأهم التوصيات التي خلصت إليها من خلال دراسة البحث.

المطلب الأول: مفهوم البيئة في الشريعة الإسلامية:

لقد استخدم القرآن والسنة النبوية فعل (بوأ) الذي اشتقت منه كلمة بيئة في الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية. فجاء فعل (بوأ) واشتقاقاته في آيات القرآن الكريم بمعنى المنزل والمكان، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾¹.

وفي السنة الشريفة نجد الفعل (بوأ) واشتقاقاتها في أحاديثه ﷺ، كقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾². فليتبعوا أي لينزل منزله من النار، يقال بوأه الله منزلاً، أي أسكنه إياه³. وقوله ﷺ: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، لِأَنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ﴾⁴. الباءة أصلها المنزل وعقد الزواج يعرف بأنه باءة، لأن فيه السكن والمنزل للمرأة⁵.

وجاءت البيئة في القرآن والسنة بالفاظ ليست مباشرة بل بمعاني تؤدي لمعنى البيئة، مثل قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. فالمقصود من قوله تعالى (في البر والبحر) أي في البيئة كلها، أو قد يأتي معنى البيئة بذكر بعض مكوناتها وجزيئاتها للدلالة عليها، مثل قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾⁶.

هذا وقد ذكرت بعض المراجع الحديثة في مجال حماية البيئة في الشريعة الإسلامية تعريفاً للمفهوم الإسلامي للبيئة، جاء فيها: (إن مفهوم البيئة في الإسلام هو مفهوم شامل فهي تعني الأرض والسماء والجبال وما فيها من مخلوقات وعلاقات ومؤثرات وظواهر مختلفة

¹ سورة العنكبوت: 58.

² متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم: 1291، وأخرجه مسلم في صحيحه، مقدمة الإمام مسلم، باب التحذير من الكذب على رسول الله، رقم: 4.

³ النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (بوأ) (159\1).

⁴ متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج رقم: 5065، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه، رقم: 1400.

⁵ انظر مادة (بوأ) لسان العرب لابن منظور (1\36-39).

⁶ سورة الروم: 48.

بما فيها الإنسان وما يحيط به من دوافع وعواطف وغرائز¹، وفي تعريف آخر عبر عن البيئة في الإسلام بأنها: (كل ما يحيط بالإنسان، إضافةً على ما يجول في داخل أعماقه، فيجعل المادة وسيلة لتزكية النفس)².

فالتصور الإسلامي للبيئة يشمل الجانب المادي كالنباتات والحيوان والإنسان وعناصر الهواء واليابسة، والغلاف الجوي. إضافة إلى الجانب الروحي، فكما أن الإنسان يتكون من جسد وروح لا يمكن الفصل بينهما، كذلك هو الحال بالنسبة إلى رؤية الإسلام للبيئة هي رؤية عميقة تجعل من الحياة شيئاً مشتركاً بين الإنسان وما يحيط به من مكونات، ويتجلى بوضوح الجانب الروحي من خلال الواجبات التي يدرك من خلالها أنه مستخلف في هذه الأرض.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾³. وهي أمانة كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁴، فحمل الأمانة والقيام بمهمة الاستخلاف تتطلب المحافظة على ما سخره الله عزوجل من مكتسبات تمكنه من إقامة شرع الله تعالى وعمارة الأرض وتنميتها بالمحافظة عليها، وهذا هو التصور الشمولي للبيئة في الإسلام بشقيه الروحي والمادي.

المطلب الأول: مفهوم مقاصد الشريعة لغةً واصطلاحاً.

مقاصد الشريعة مركب لفظي، يتكون من المقاصد والشريعة، فالمقاصد في اللغة: جمع قصد، وهو إتيان الشيء و(قصد) قصده أي نحا نحوه⁵. والقصد استقامة الطريق ومنها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁶. أي على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة.

¹ البيئة من منظور إسلامي، د. صالح وهي، ص 47.

² التربية البيئة في الإسلام، د. محمد جابر، دار القلم، دبي-الإمارات، ط 1، 2001، ص 18-19.

³ سورة البقرة: 30.

⁴ سورة الأحزاب: 72.

⁵ أنظر مادة (ق ص د)، مختار الصحاح، 536.

⁶ سورة النحل: 9.

والقصد: العدل، والقصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة: ألا يسرف ولا يقتّر. يقال: فلان مقتصد في النفقة، وقد اقتصد فلان في أمره أي استقام¹.

أما تعريف مقاصد الشريعة في الاصطلاح فقد عرفها الشيخ ابن عاشور، فقال: (مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة)². فمقاصد الشريعة عنده، هي بيان الغاية والحكمة التي تضمنتها الأحكام الشريعة، التي وضعها الله سبحانه وتعالى في سبيل تحقيق الغاية التي شرعت لأجلها والمتمثلة في تحقيق العبودية لله تعالى، وتمكين الإنسان من تحقيق ما فيه الخير والصالح في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: البيئة في المقاصد الضرورية الخمس.

المقاصد الخمس هي مقاصد ضرورية وحتمية، ثابتة بالأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لا يختلف أحد في أنها ضرورية، وقد عرفها الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات، فقال: (هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين)³.

والحفاظ عليها يكون بأمرين، الأول ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وذلك بمراعاتها من جانب الوجود، والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك بمراعاتها من جانب العدم⁴. فالمقاصد الضرورية هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، ويتربط على فقدانها اختلال وفساد كبير في الدنيا والآخرة، وبقدر ما يكون من فقدانها، بقدر ما يكون من الفساد والتعطل في نظام الحياة، ولقد ثبت بالاستقراء أن المقاصد الضرورية خمسة هي: حفظ الدين، وحفظ النفس وحفظ النسل، وحفظ العقل، وحفظ المال، لازمة لا بد منها، ومن خلالها يتحقق الخير والصالح للإنسان في الدنيا والآخرة⁵.

¹ انظر مادة (قصد)، مقاييس اللغة، القزويني، (95\5)، ولسان العرب، ابن منظور، (354\3).

² انظر مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، 351.

³ الموافقات للشاطبي، 202.

⁴ انظر الموافقات، الشاطبي، 202.

⁵ انظر نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الطبعة الثانية، الدار العالمية للكتاب الاسلامي، الرياض، 1992م، 125-126.

فالشريعة الإسلامية مقصدها قائم على جلب المصلحة ودفع المفسدة، فأينما كانت المصلحة فثم شرع الله وأينما كانت المفسدة فالشرع يلغيه، وقد جاءت هذه الشريعة بمقاصد تثبت ما كان مصلحة وتنفي ما كان مفسدة للإنسان، وفيما يلي تفصيل لاهتمام مقاصد الشريعة الخمس بموضوع البيئة:

أولاً: حفظ البيئة من حفظ الدين.

يأتي تعريف الدين في اللغة بمعاني عديدة، منها الملة، فيقال صبا من دين إلى دين: خرج، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾¹، والدين هو الطاعة والقانون والسلطان، يقال دان له يدين ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾²، أي في طاعته، وقد يأتي بمعنى الحساب والجزاء، لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾³. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾⁴، أو الحكم، قال تعالى: ﴿الرَّائِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾⁵، أما في الاصطلاح فيعرف الدين بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل⁶.

ويعتبر مقصد حفظ الدين أول المقاصد الضرورية لأهميته، وحفظ الدين يكون بأمرين:

1. من جانب الوجود: بإقامة الفرائض كالصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾⁷. فالصلاة عمود الدين وأساسه، من أقامها فقد حفظ الدين، ومن تركها فقد هدم الدين، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ﴾⁸. والزكاة مطهرة للمال وفيها نوع من شكر النعمة لله تعالى، وتكافل فيما بين المسلمين. أما الصوم فتقوي النفس على مراقبة الله

¹ سورة آل عمران: 83.

² سورة يوسف: 76.

³ سورة الذاريات: 12.

⁴ سورة الذاريات: 6.

⁵ سورة النور: 2.

⁶ المقاصد العامة في الشريعة، 205.

⁷ سورة البقرة: 110.

⁸ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، 2621.

تعالى، فيترك المسلم المشرب والمأكل لله عزوجل وهو حلال، فيكون بذلك قادراً على ترك الحرام، فالصوم يكسر الشهوة ويضعف لدي الإنسان دواعي المعاصي وبذلك يكون الصائم قادراً على ترك الحرام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾¹. والحج يتجرد فيه العبد عن الدنيا وما فيها من أجل جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، فنجد معاني الإيمان والتضرع والتذلل لله سبحانه وتعالى تتجلى في كل أيام الحج، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾². لذا تعتبر العبادات في الشريعة الإسلامية بمنزلة الدعائم والأسس في حفظ الدين، قال عليه الصلاة والسلام: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)³.

2. من جانب العدم: بالجهاد الذي جعله الله تعالى فرض كفاية على الأمة، قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁴. وبجهاد النفس وكبح الشهوات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾⁵. فالعلاقة تلازميه بين حفظ الدين وحفظ البيئة، فحفظ البيئة هو مقصد من مقاصد الشريعة الغراء، فجلب كل مصلحة لها يعد مقصداً للشريعة، ودفع كل مفسدة عنها يعد كذلك مقصداً للشريعة، فإذا لم يتم حفظ البيئة فسيقع خلل في حفظ الدين. فحفظ البيئة هو حفظ للدين، ويكون بالأمور التالية:

(1) بتوفير البيئة الصالحة للتعبد كالأماكن النظيفة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { فَضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً،

¹ سورة البقرة: 183.

² سورة الحج: 27-28.

³ متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (بني الإسلام)، رقم: 8، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (بني الإسلام على خمس)، رقم: 16.

⁴ سورة التوبة: 41.

⁵ سورة ص: 26.

وَحُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ¹، فيكفي أن يكون المكان طاهراً للصلاة، وهذا من التيسير ورفع الحرج في الدين، قال عليه الصلاة والسلام: {إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ}².

(2) ويكون بالنهي عن الفساد، أيأ كان نوعه قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾³. وفي ذلك تقوية للإيمان، باتباع ما أمر الله تعالى به، واجتناب ما نهى عنه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁴. وقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾⁵، وهو مثل قول الله تعالى في آية الفساد: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾⁶، وقد فسر ابن عاشور التولي بالانصراف والإدبار، واستعمل في هذه الآية مجازاً في العصيان وعدم الإصغاء إلى الدعوة⁷. فمن لا يتبع تعليمات الدين وتشريعاته يصبح مدمراً للبيئة ومدمراً للكون لأنه لا يتبع تعليمات الخالق.

فالبيئة في نظر الشريعة الإسلامية متى ما كانت الحياة صالحة لإقامة الشعائر، كان مقصد حفظ الدين في النفس أثبت وأعمق. فتفعيل مقصد حفظ البيئة لأجل حفظ الدين يؤدي إلى تحقيق الهدف الأسى من وجود الإنسان، وهو القيام بمهمة الخلافة، فمهمة الاستخلاف تتطلب المحافظة على مكونات البيئة، والتوحيد هو جوهر التمكين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁸. وذكر ابن عاشور تفسير جليلاً في وصف الصالحات فقال: (والتعريف في الصالحات للاستغراق، أي عملوا جميع الصالحات، وهي الأعمال التي وصفها الشرع بأنها صلاح، وترك الأعمال

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم: 532.

² أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول، رقم: 380.، والترمذي في سننه، أبواب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض، رقم: 147.

³ سورة الأعراف: 56.

⁴ سورة الحشر: 7.

⁵ سورة النساء: 80.

⁶ سورة البقرة: 205.

⁷ التحرير والتنوير، (5\135).

⁸ سورة النور: 55.

التي وصفها الشرع بأنها فساد لأن إبطال الفساد صلاح. فالصالحات جمع صالحة: وهي الخصلة والفعله ذات الصلاح، أي التي شهد الشرع بأنها صالحة¹، ومن الأعمال الصالحة المحافظة على النعم التي وهبها الله لنا. ثانياً: حفظ البيئة من حفظ النفس.

للنفس في اللغة معانٍ كثيرة، من هذه المعاني الروح، كما جاء في الحديث: {لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ}²، وتأتي بمعنى الدم، والعين، فيقال: أصابت فلانا نفس. كما أنها قد تأتي بمعنى السعة، فيقال أنت في نفس من أمرك (أي في سعة)، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ}³. أما في الاصطلاح فتعرف النفس: بأنها جوهر روحاني، والجوهر الروحاني ما كان لطيفاً لا يرد شعاع الأبصار⁴.

ومقصد حفظ النفس ليس المقصود به حفظها عن كل ما من شأنه أن يسبب ضررها أو إتلافها، بل يشمل أيضاً كل ما يمكن أن يساعد على تقويتها. فهو مقصد يحفظ بأمرين: 1. من جانب الوجود: ويقصد الحفاظ على إيجادها، أي وجود الإنسان وضمان الاستمرارية ومن ذلك، جواز أن يفطر المريض والمسافر في رمضان، مخافة المشقة، وأما الشيخ الكبير الذي عجز عن الصيام فعليه فدية لعجز جسمه، قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}⁵. 2. وجواز أكل الميتة إذا خشي على نفسه الهلاك، قال تعالى: {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}⁶. وتحريم القتل قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ}⁷.

¹ التحرير والتنوير، (18\283).

² أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم: 3075.

³ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: 2699.

⁴ مال الدين الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، 595.

⁵ سورة البقرة: 184.

⁶ سورة البقرة: 173.

⁷ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قوله تعالى: إن النفس بالنفس والعين بالعين. رقم: 6878.

2. من جانب العدم: بإقامة الأحكام كالقصاص، والدية، ويعتبر القصاص من أقوى الوسائل في حفظ النفس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾¹. وقوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾². والدية عبارة عن مال يدفعه القاتل لأهل القتل، لحديث رسول الله ﷺ: {وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمَّا يُودَى وَإِمَّا يُقَادُ}³.

فالعلاقة تلازميه بين حفظ النفس وحفظ البيئة، فحفظها هو حفظ للنفس الإنسانية، ويتم ذلك بالأمور التالية:

1. بتوفر الجو الصحي الخالي من التلوث، والمياه النقية، والمأكّل الطيب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾⁴. ولا يكون ذلك إلا من خلال توفير البيئة الصحية لنمو النباتات، والحيوانات بعيداً عن الأمراض، أو ما يسبب لها الهلاك كالأمطار الحمضية التي تنتج عن ارتفاع ثاني أكسيد الكبريت.

2. بالدعوة إلى المأكّل الطيب كما جاء في الآية السابقة، التي أتبعتها سبحانه وتعالى في آية أخرى، بالنهي والزجر عن تتبع خطوات الشيطان، أي كل ما يسبب الضرر والهلاك للنفس الإنسانية، فالتلوث وما يسببه من الأمراض هو نوع من الضرر، وسواء كان ذلك بالمأكّل الحرام، أو ما يسبب تلف المأكّل الحلال، فقال في ذلك سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾⁵.

3. بالنهي عن قتل الحيوان بغير وجه حق لمجرد اللهو والتسلية، لأن حماية الحياة في الشريعة الإسلامية يمتد إلى حياة الحيوان أيضاً، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: {لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا}⁶، ولا يقتصر هذا على القتل المباشر، بل يشمل كل ما

¹ سورة البقرة: (178-179).

² سورة المائدة: 45.

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب من قتل له قتيلاً، رقم: 6880.

⁴ سورة البقرة: 172.

⁵ سورة البقرة: 168.

⁶ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذباح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر الهائم، رقم: 1957.

يمكن أن يضر بصحة الإنسان كالأطعمة الفاسدة أو الملوثة، والماء غير الصالح للشرب. قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾¹. وإذا أخذنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيكون كل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا²، فمن تناول شيئاً يضر بالنفس كالمخدرات وشرب الخمر فقد أوقعها في التهلكة، وفسرها ابن عاشور، فقال: (وليس المراد بحفظ النفس حفظها بالقصاص كما مثل لها الفقهاء، بل نجد القصاص هو أضعف أنواع حفظ النفوس، لأنه تدارك بعد الفوات، بل الحفظ أهمُّه حفظها عن التلف قبل وقوعه مثل مقاومة الأمراض السارية، وقد منع عمر بن الخطاب الجيش من دخول الشام لأجل الطاعون)³.
ثالثاً: حفظ البيئة من حفظ النسل.

يعرف النسل في اللغة بعدد من المعاني، وإن كان من أشهر معانيه الولد، فهو يعرف بالولد لتناسل بعضه بعد بعض، ونَسَلَ نصل السهم إذا بان منه وسقط، ويقال نسل ريش الطائر، إذا سقط، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾⁴، وتأتي كذلك بمعنى أسرع، فيقال: نسل الذئب أي أسرع. ومنه أنه ﷺ مر بأصحابه يمشون فشكوا الإعياء فأمرهم أن ينسلوا⁵.

أما في الاصطلاح: فقد اختلفوا في تعريفه، فمنهم من قال إنه العرض ومنهم من قال إنه النسب. هذا ويعتبر مقصد حفظ النسل في المرتبة الثالثة في المقاصد الضرورية، ولا يختلف أحد على أهميتها، وإن كانت التسمية تختلف، فالبعض أطلق عليه حفظ النسب، أو حفظ العرض، وأياً كانت التسمية، فمقصد حفظ النسل، يحفظ بأمرين:

1. من جانب الوجود: بالزواج، فهو مقصد أساسي في المحافظة على النسل من الانقطاع، قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾⁶، وقد حث رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة على الزواج، في تحقيق مقصد حفظ النسل بتكثيره، فقال عليه الصلاة والسلام

¹ سورة البقرة: 195.

² انظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، (593\3). وفتح القدير للشوكاني، (1\222).

³ مقاصد الشريعة، ابن عاشور، 303.

⁴ سورة الأنبياء: 96.

⁵ انظر مادة (نسل). الزاهر في معاني كلمات الناس (1\432)، الفائق في غريب الحديث (3\422). المعجم الوسيط، 1646.

⁶ سورة النساء: 3.

{ تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرِبُكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }¹، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر، داعياً الشباب إلى الزواج: { يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ }².

2. من جانب العدم: بمنع كل ما يقطع النسل، بترك الزواج بحجة الانصراف إلى العبادة، كالرجال الثلاثة الذين جاؤوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: أنا أعزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: { أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذْأً وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لِكَيْيَ أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }³. جاء في شرح الحديث: (وظاهر الحديث: ما ذكرناه من تقديم النكاح، كما يقوله أبو حنيفة ولا شك أن الترجيح يتبع المصالح، ومقاديرها مختلفة وصاحب الشرع أعلم بتلك المقادير فإذا لم يعلم المكلف حقيقة تلك المصالح، ولم يستحضر أعدادها: فالأولى اتباع اللفظ الوارد في الشرع)⁴. فإذا كان هذا في حق من ترك الزواج لأجل العبادة، فهي أولى في حق من أعرض عن الزواج بدون أسباب، ويتبع ذلك منع الإجهاض، وهذا من رعاية الشريعة لمقصد حفظ النسل من جانب العدم، وقد قضى رسول الله ﷺ بالضمان على من يقتل الجنين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: { أَنَّ امْرَأَتَيْنِ مِنْ هَذَيْلٍ، رَمَتَا إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فَطَرَحَتْ جَنِينَهَا، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِغَرَّةٍ⁵، عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ⁶ }.

¹ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد له نساء، رقم: 2050. والنسائي في سننه، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم، رقم: 3227.

² متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة، رقم: 5065. ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم: 1400.

³ متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم: 5063. ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم: 1401.

⁴ أحكام الأحكام لابن دقيق العيد، (2/170).

⁵ الغرة: العبد أو أمة. وغرة الفرس، والغرة التي يودي بها الجنين هي عبد أو أمة سميا بذلك لأهمها غرة ما يملك الرجل أي أفضله وأشهره والعرب أيضاً تجعل الفرس غرة لأنه غرة ما يملك. (غريب الحديث لابن قتيبة، 1/222). كقول الشاعر: (إن نحن إلا أناس أهل سائمة ... ما إن لنا دونها حرث ولا غر). أي قليل المال.

⁶ متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب جنين المرأة، رقم: 6904. ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب دية الجنين، رقم: 1681.

وان حفظ البيئة هو حفظ للنسل، ويكون بالأمر التالية:

1. بالمحافظة على مكونات البيئة للأجيال القادمة من الاستهلاك الجائر للموارد البيئية والاعتداء على الطبيعة، وفي ذلك إبقاء على الجنس البشري، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾¹. قال بعض العلماء جمع الله الطب كله في نصف آية وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، وقال البخاري قال ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة². قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾³، فالتبذير في غير الحق، وهو الإسراف⁴، وهذا ما يعبر عنه في وقتنا الحاضر (بالاستهلاك الجائر لمكونات البيئة). ولا أجد أفضل من حديث الرسول ﷺ في تأييد معنى الآية وشرحها، قال ﷺ: {كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ}⁵، فقلوه ﷺ (ما لم يخالطه) أي: المذكور من الأكل والشرب ويدخل فيه اللباس⁶.

2. بال العناية بالثروة الزراعية والحيوانية، فالنبات سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان ولغيره من المخلوقات، وقد حرص رسول الله ﷺ على تشجيع الزراعة، فعن جابر، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَزُرُّهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ}⁷. قال النووي في شرح الحديث: (في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع وأن أجر فاعل ذلك مستمر مادام الغراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة)⁸. وأما الثروة الحيوانية فقد حرصت الشريعة الإسلامية على المحافظة عليها، وتنميتها وبالأخص ذات المنفعة، فعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ،

¹ سورة الأعراف:31.

² تفسير ابن كثير، (336\3).

³ سورة الإسراء:26.

⁴ تفسير الطبري، (428\17).

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، افتتاحية الباب، (140\7). وابن ماجه في سننه، كتاب اللباس، باب (23)، رقم:3605.

⁶ حاشية السندي على سنن ابن ماجه، (378\2).

⁷ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس، رقم:1552.

⁸ شرح النووي على مسلم، (213\10).

فَأَخَذَ الشَّفْرَةَ، لِيَذْبَحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {إِيَّاكَ، وَالْحُلُوبَ} ¹ أي ذات اللبن ²، لأن عطاءها مستمر بخلاف غيرها، ولذلك جاء النهي هنا بلفظ إياك وكأنه يضع يضع حاجزاً، حتى وإن كان الأمر من باب الحلال، فالنظرة البعيدة للدين جعلت النهي هنا من باب الاستحباب.

3. بتوفير الأطعمة الصالحة والطيبة وتجنب الأطعمة الملوثة أو الكيماوية التي تنتج عن الاختلال البيئي، وقد أثبت العلم الحديث أنها من بين الأسباب التي تسبب العجز الجنسي وهذا من شأنه أن يؤدي إلى قطع النسل.
رابعاً: حفظ البيئة من حفظ العقل.

لقد ميز الله تعالى الإنسان عن غيره من المخلوقات بالعقل، ولهذا جعل مناط التكليف الشرعي على البالغ العاقل، فأمره بعبادته وطاعته، وعمارة الكون، اعتماداً على وجود العقل، إذا ما بحثنا في معنى العقل في اللغة نجد بأنه أتى بمعانٍ عدة، منها أن العقل نقيض الجهل، وتأتي بمعنى القيد فيقال عقل يعقل عقلاً: إذا شد يد البعير ³، كما أنها تأتي بمعنى القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ⁴، أي عقل. والعقل: هو الدية، يقال عقل القاتل أعطي ديته ⁵.

وفي الاصطلاح: فالعقل هو اسم مشترك تطلقه الفلاسفة والمتكلمون على وجوه مختلفة لمعاني مختلفة، ففي العقل قوة في نفس الإنسان يستطيع عن طريقها إدراك وتحصيل المعارف ⁶. ومعنى حفظ العقل، حفظ عقول الناس من أن يدخل عليها خلل، لأن دخول الخلل على العقل مؤدٍ إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف. فدخول الخلل على عقل الفرد مفضي إلى فساد جزئي ودخوله على عقول الجماعات وعموم الأمة أعظم ⁷.

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره الى دار من يثق برضاه بذلك، رقم: 2038. وابن ماجه في سننه، باب النهي عن ذبح ذوات الدر، رقم: 3180.

² شرح سنن ابن ماجه للسيوطي، باب السلخ هو نزع الجلد، (1\229).

³ العسكري، معجم الفروق اللغوية، (1\519).

⁴ سورة ق: 37.

⁵ انظر مادة (عقل) كتاب العين، (1\159). غريب الحديث لإبراهيم الحري، (3\1232). الصحاح تاج اللغة (1\204). مجمل اللغة لابن فارس، (1\617). مختار الصحاح، (1\215).

⁶ العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، (327-328).

⁷ مقاصد الشريعة، لابن عاشور (303-304).

وحفظ مقصد العقل يكون بأمرين:

1. من جانب الوجود: بالتعليم فهو وسيلة من وسائل المحافظة على العقل، بها يصقل العقل ويتمرن على الإدراك والمعرفة، وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من الآيات في فضل العلم والعلماء، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾¹. ومعلوم عند كل من له عقل أنه لا استواء بين العلم والجهل، ولا بين العالم والجاهل. والدعاء بأن يسأل الله تعالى العلم على الدوام، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾². ففي هذه الآية دليل على نفاسة العلم، وعلو مرتبته، وفرط محبة الله تعالى إياه، حيث أمر نبيه بالازدياد منه خاصة دون غيره³. والعلم نعمة يحسد عليها صاحبها، فقال النبي ﷺ: {لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا}⁴. فالحكمة هي العلم الذي يمنع من الجهل ويزجر عن القبيح. وقال وقال عليه الصلاة والسلام في أهمية العلم: {طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ}⁵. وللعلاقة القوية بين العلم والعقل، نجد أن كلمة أفلا يعقلون، أفلا يتفكرون، أفلا يتدبرون، وأفلا يبصرون، تتكرر في نهاية مجموعة من الآيات، وفي ذلك دليل على أن العقل والتدبير والتبصرة هم أساس فهم الإنسان.

فجاءت الآيات بصيغة:

- أفلا تعقلون⁶ ، كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁷.
- ومثل قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁸.
- أفلا يتفكرون⁹ ،

¹ سورة الزمر:9.

² سورة طه:114.

³ تفسير الرازي، (2\407).

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم:73.

⁵ أخرجه ابن ماجه في سننه، افتتاح الكتاب في الإيمان، باب (17)، رقم:224.

⁶ جاء في أساس البلاغة للزمخشري: (عقل فلان بعد الصبا أي عرف الخطأ الذي كان عليه. وهذا مريض لا يعقل). (1\670).

⁷ سورة البقرة:44.

⁸ سورة الأنفال:22.

⁹ الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، مادة (فكر)، مقاييس اللغة (4\446).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيَّهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹.

● وأفلا يتدبرون²، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾³.

● أفلا يبصرون⁴، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾⁵، فالتفكر والتبصر لا يكون إلا في بيئة سليمة، يتوفر فيها الغذاء السليم والجو الصحي.

2. ومن جانب العدم: بتحريم كل ما من شأنه أن يتلف العقل أو يلحق به الضرر أو الفساد كالخمر والمخدرات، وقد جاء تحريمها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾⁶. فالخمر ليست من الطيبات وهي من عمل الشيطان والشيطان عدو الإنسان القديم، ويكفي أن يعلم المؤمن أن شيئاً ما من عمل الشيطان لينفر منه حسه، وتشمئز منه نفسه، ويجفل منه كيانه، ويبعد عنه من خوف وبتقيه، فصارت الخمر حراماً عليهم حتى كان بعضهم يقول: ما حرم علينا شيء أشد من الخمر. وقيل: إثم كبير في أخذها ومنافع في تركها، لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾⁷، ففي هذه الآية ما يدل على تحريمه، لأنه سماها إثمًا، وقد حرم الإثم في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ﴾⁸. وقال بعضهم: أراد بالإثم، الخمر⁹.

¹ سورة الزمر: 42.

² تدبر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته، التحرير والتنوير، (5\137).

³ سورة النساء: 82.

⁴ أبصر الشيء، وبصر به وقد بصر بعمله إذا صار عالماً به، مادة (ب ص ر)، أساس البلاغة للزمخشري، (1\62).

⁵ سورة السجدة: 27.

⁶ سورة المائد: 90-91.

⁷ سورة البقرة: 219.

⁸ سورة الأعراف: 33.

⁹ تفسير السمعاني، (1\218).

فحفظ البيئة هو حفظ للعقل ويكون ذلك بتوفير الأمور التالية:

1. بتوفر أسباب تنمية العقل من تعليم نافع، وغذاء مناسب، وهذا الأخير لا يكون إلا بتوفير البيئة النظيفة الخالية من الملوثات الصالحة للزراعة، ولذلك دعا الله عزوجل عباده إلى المأكّل الطيب، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾¹، فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي مستطاباً في نفسه غير ضار بالأبدان ولا العقول²، حفاظاً على النفس وما يمكن أن يؤثر على العقول.

2. وتوفير الجو الصحي، التنظيف الخالي من التلوث، حتى يتمكن العقل من الفهم والاستيعاب، فلا نتصور أن تكون بيئة يملؤها غاز ثاني أكسيد الكربون، هي بيئة مناسبة لتلقي العلم.

خامساً: حفظ البيئة من حفظ المال.

يعد المال ضرورة من ضروريات الحياة لا غنى للإنسان عنها، ذكره الله تعالى في مواطن كثيرة، فقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾³، فهو من الأشياء التي يتفاخر بها المرء، وقوام الدنيا وزينتها.

ويقصد بالمال في اللغة بالنقد، والإبل والغنم، كما تأتي بمعنى الشجر، فيقال شاجر المال، إذا رعى العشب والبقل، فلم يبق منها شيئاً⁴، والمقصود بالمال هنا: كل ما يملكه الفرد، أو تملكه الجماعة من متاع، أو عروض تجارة، أو عقار، أو نقود، أو حيوان يعد مالاً⁵.

أما في معناه الاصطلاحي: فهو ما يميل إليه الطبع، ويمكن ادّخاره⁶، فالمال لا يقتصر على ما كان نقداً فقط، بل يشمل النبات والحيوان، وما يخرج من خيرات الأرض وما ينزل من السماء، أي الوسط المادي الذي يعيش فيه الإنسان. قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾⁷. (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ) من شمس وقمر

¹ سورة البقرة: 168.

² تفسير ابن كثير، (1/347).

³ سورة الكهف: 46.

⁴ الجيم، (3/287). الأمانة وتلبية الجاهلية، (1/27). تاج العروس، (12/139).

⁵ القاموس الفقهي، مادة (مول)، 344.

⁶ العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، 469.

⁷ سورة الجاثية: 13.

ونجوم (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من دابة وشجر وجبل وسمك ومنافعكم ومصالحكم (جَمِيعًا مِنْهُ)، يقول الله تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، فهي من الله أنعم بها عليكم، وفضلٌ منه تفضل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه، فلا تجعلوا في شكركم له شريكاً بل أفردوه بالشكر والعبادة¹.

ويحفظ هذا المقصد بأمرين:

1. الأول من جانب الوجود: وذلك بالدعوة إلى العمل والكسب الحلال، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾². أي إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، وابتغوا من فضل الله، يعني الرزق، ولهذا جعل الله البيع والتجارة من الكسب الحلال، فقال سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾³، وتمثل هذه الآية دعوة إلى تأسيس مال للأمة، يقوم على مبدأ الكسب الحلال، وتنميته بالتجارة وغيرها، والبعد عن الكسب الحرام كالربا وغيره. وفي السنة النبوية، تأتي الدعوة للعمل والكسب، مؤيدة للنصوص القرآنية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ}⁴. وقوله ﷺ: { مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ}⁵. فهذه النصوص الشرعية كلها تبرز أهمية الكسب، من خلال تدوير حركة المال، المال، بالتجارة على سبيل المثال.

¹ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، (65\22).

² سورة الجمعة:10.

³ سورة البقرة:275.

⁴ متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم:1470. ومسلم في صحيحه، كتاب

كتاب الزكاة، باب كراهية مسألة الناس، رقم:1042.

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم:2072.

2. الثاني من جانب العدم: تحريم الاعتداء على الأموال، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾¹. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾². وفي هذه الآية قرن الله عز وجل بمن يعتدي على مال الغير بمن يقتل نفسه، وهذا أشد وأقوى من قتل الغير. وقال عليه الصلاة والسلام: {لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ}³.

وحرم الشرع كذلك إضاعة المال وصرفه في غير موضعه، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁴. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁵، ولذلك نهى عن إعطاء السفية المال، وسعى الله سبحانه المال بالقوام، لأن به تقوم أمور الحياة، فقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾⁶.

وإن حفظ البيئة هو حفظ للمال ويكون بالأمور التالية:

1. بالمحافظة على مكونات البيئة وذلك من مظاهر شكر هذه النعمة لهذا دعا القرآن الكريم إلى المحافظة عليها فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁷. فالإسراف تجاوز الحد في صرف المال. وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾⁸.

¹ سورة البقرة: 188.

² سورة النساء: 29.

³ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، رقم: 2564.

⁴ سورة الأعراف: 31.

⁵ سورة الفرقان: 67.

⁶ سورة النساء: 5.

⁷ سورة الفرقان: 67.

⁸ سورة طه: 81.

2. بتنمية البيئة واستثمارها استثماراً صالحاً، لأن ذلك من وسائل حفظ المال، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُْرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَزُرُّهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ﴾¹.

3. بعدم إفساد مكونات البيئة، لأن فسادها فساد للمال، فقال عزوجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾²، تولى تأتي بمعنى الغضب، والسعي هو المشي السريع، أي تعمد الإفساد في أمر من أمور أهل أرضكم سواء كان ذلك في الزرع أو حتى في النسل من صغار الحيوانات³.

4. بعدم الإسراف في استغلال مكونات البيئة، ففي ذلك حفظ للمال من التلف والهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾⁴، فكل من لا يملك القدرة على المحافظة على مكونات مكونات البيئة فهو سفيه، ووجب نهيه من خلال القوانين الملزمة لحماية البيئة، والمال كما وسبق أن عرفناه تدخل فيه الحيوانات من المواشي والأبل، والمزارع، والمياه وغيرها من المكونات التي سخرها الله تعالى للإنسان. وشدد الرسول ﷺ على هذا النهي، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ}⁵. فالوسطية والاعتدال، والإنفاق بالمعروف حماية للثروة للأجيال القادمة.

المطلب الثالث: مدينة (مصدر) أنموذج دولة الإمارات العربية المتحدة في حماية البيئة:

قامت حكومة أبوظبي منذ العام (2006) بتأسيس شركة أبوظبي لطاقة المستقبل "(مصدر)" كمبادرة استراتيجية متعددة الأوجه مملوكة بالكامل لشركة مبادلة لتطوير قطاع الطاقة المتجددة والمحافظة على مكانة الدولة في قطاع الطاقة، وفي العام (2008) أصبحت "(مصدر)" واقعاً ملموساً، فقد قام سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان (ولي عهد

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم: 1552.

² سورة البقرة: 205.

³ تفسير ابن كثير، (1/564).

⁴ سورة النساء: 5.

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين، رقم: 5975.

أبوظبي- نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة بوضع حجر الأساس لمدينة (مصدر)¹، التي تبعد نحو 30 كم عن العاصمة أبوظبي.

وسوف يساعد هذا المشروع في المحافظة على الدور القيادي الذي تلعبه دولة الإمارات العربية المتحدة في أسواق الطاقة العالمية، ويعزز في الوقت نفسه الخطة الاستراتيجية لأبوظبي 2030². لتقود دولة الإمارات العربية المتحدة وإمارة أبوظبي على وجه الخصوص المنطقة في مجال الطاقة البديلة، من خلال استراتيجية شاملة ومتكاملة لصنع مزيج متنوع من مصادر الطاقة.

وبالرغم من أن أبوظبي تمتلك احتياطات ضخمة من النفط والغاز تقدر بحوالي 98 مليار برميل وهو يعتبر خامس أكبر مخزون للنفط و214 تريليون قدم مربع من الغاز، وهو سادس أكبر مخزون للغاز في العالم، إلا أن الحكومة تدرك بأن هذه الاحتياطات سوف تنضب في يوم من الأيام ولن تدوم إلى الأبد³، إضافةً إلى أن أبوظبي تعد من أبرز المناصرين لقضية التغير المناخي بتعزيز استخدام الطاقة البديلة.

المطلب الرابع: مدينة (مصدر) تطبيق لمقاصد الشريعة الإسلامية.

تعد السماحة والتيسير من أوصاف الشريعة الإسلامية وأول مقاصدها⁴، ويراد بالسماحة الاعتدال بين التضييق والتساهل، ووصف الشريعة بالسماحة والتيسير ثابت بالقرآن والسنة، فقال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁵، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما⁶. فكانت بسماحتها أقرب للنفوس، وقد ظهر أثر ذلك في انتشارها، ومراعاتها لاختلاف الزمان والمكان وأحوال المكلفين، وهذا التنوع الذي نجده في الأحكام ما هو إلا دليل على استيعاب الشريعة للبيئات المختلفة في الأزمنة المختلفة، فجاءت النصوص من الكتاب والسنة لترسم إطاراً عاماً، وترك للإنسان وضع البرامج والآليات المناسبة لتنفيذها.

¹ جريدة الاتحاد (10\فبراير\2008)، <http://www.alittihad.ae/details.php?id=6559&y=2008>.

² الرؤية الاقتصادية لإمارة أبوظبي 2030، 80.

³ محاضرة للدكتور سلطان الجابر بعنوان (الإمارات ريادة مستمرة)، جريدة الخليج، عدد 12266، (18\ديسمبر\2012)، 10. ومجلة ريادة الاستدامة، 23.

⁴ مقاصد الشريعة، الطاهر بن عاشور، 267-272.

⁵ سورة البقرة: 185.

⁶ أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم: 274.

فإذا كانت الشريعة الإسلامية بهذا الوصف الشمولي، فإن معرفة مقاصد الشريعة تمكن الإنسان من معرفة غاية الشرع من هذه الأحكام التي ما شرعها الله تعالى إلا بقصد حفظ نظام الأمة وعمارة الأرض، في إطار توحيد العبودية لله عز وجل. فالآيات التي تتحدث عن التسخير كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾¹. فالتسخير في هذه الآية وفي القرآن بشكل عام، يأتي بمعنى تذليل الله تعالى بأمره وقدرته، كل موجودات الكون للإنسان لخدمته وتطويعها للاستخدام الأمثل.

والباحث في علم مقاصد الشريعة يجد أن معظم الدراسات المقدمة في هذا المجال، عبارة عن دراسات نظرية في الكتب، أو إعادة إنتاج ما تقدم به الآخرون. ولكن ما يُفعل دور مقاصد الشريعة حقيقةً، هي بترجمتها إلى مشروعات ومؤسسات في ضوء احتياجات المجتمع، ويكون ذلك من خلال تبني سياسات وتشريعات قادرة على ترجمة المقاصد إلى واقع عملي.

لذا فإن مدينة (مصدر) تعد واحدةً من المشروعات التي تترجم مقصد حفظ البيئة بطريقة غير تقليدية، فهذه المدينة المتطورة تعد من النماذج العصرية التي تقدمها دولة الإمارات العربية المتحدة في مجال حفظ البيئة من خلال استخدام الطاقة المتجددة، وهي أنموذج فريد من نوعه يواكب العصر بتقنياته المتطورة ويحافظ على البيئة في الوقت ذاته. وتظهر في مدينة (مصدر) المقاصد الضرورية الخمس بشكل واضح، وهي:

أولاً: مقصد حفظ الدين في مدينة (مصدر).

يمثل حفظ الدين أهم المقاصد الضرورية، والمحافظة عليه يعتبر محافظةً على المقاصد كلها ومن وسائل حفظ الدين كما ذكرها الشاطبي في الموافقات: "حفظ الدين حاصله في ثلاثة معانٍ وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان فأصلها في الكتاب وبيانها في السنة"². فالإسلام هو الدين الذي يقبله الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾³.

¹ سورة إبراهيم: 32-34.

² الموافقات للشاطبي، 686.

³ سورة آل عمران: 19.

والإيمان درجة أعلى من الإسلام، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم كن تراه فإنه يراك، ومن معانيه البر وهو فعل الخير للآخرين فضلاً ومحبةً أي النفع مع القصد¹.

ويمثل الالتزام بالشريعة وما تحتويه من الأوامر والنواهي حفظاً للدين، بتنمية الوازع الديني والاستشعار بعظمة الخالق ونعمه، فتجد العديد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية تدعو للمحافظة على البيئة وعدم إفسادها من جانب عدم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾². ومن جانب الوجود، بتقوية الإيمان من خلال الأمر بالطهارة، كما جاء في السنة فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"³، فربط رسول الله ﷺ الطهارة بالإيمان أي بالدين، وحتى وإن اختلف في تفسير معنى الطهارة وربطها بعضهم بالوضوء وربطوا الإيمان المذكور في الحديث بالصلاة⁴، فيستفاد من حديثه عليه الصلاة والسلام أهمية الطهارة في تقوية الدين فطهارة الأرض من الإيمان وطهارة الماء من الإيمان، وطهارة الهواء من الإيمان، فارتباط النظافة بالإيمان رباط عظيم بين الإنسان وبيئته سواء الفرد أو الجماعة أو الدولة.

والإحسان من وسائل حفظ الدين، فالطاقة المتجددة التي تعتمد عليها مدينة (مصدر) تمثل التزاماً بالدين في مبادئه وأحكامه، بعدم افساد البيئة بالغازات الملوثة، أو النفايات الصلبة. وعندما تعلن مدينة (مصدر) أن نسبة الكربون هي صفر %⁵، فهذا يمثل قيمة كبيرة في حفظ الدين، فمن جانب توفر الأماكن الصالحة والنظيفة لإقامة الشعائر الدينية، ومن جانب آخر اتباع أمر الشرع بعدم الاضرار بكتلوث الهواء بالغازات المضرة والسامة، أو تلويث الأرض بالنفايات السائلة أو الصلبة، أو تلويث الماء ببقايا مواد كيميائية كالتسببها مصادر الطاقة التقليدية.

¹ العسكري، معجم الفروق اللغوية، 193\1. عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة، 497\1.

² سورة الأعراف: 56.

³ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم: 223. وأحمد في مسنده (536\37).

⁴ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 3\100.

⁵ انظر مدينة مصدر (تمت زيارة الموقع بتاريخ 2020/11/22)

ثانياً: مقصد حفظ النفس في مدينة (مصدر).

اعتنت الشريعة الإسلامية بالنفس عناية كبيرة، فحرمت قتلها، واعتبرت القاتل نفس واحدة كمن قتل الناس جميعاً، وقد توعده الله قاتلها بالعقاب الشديد في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾¹، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾².

ويؤيد ذلك قوله ﷺ على حرمة النفس في حجة الوداع: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا"، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّمَا لَوْصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"³.

فلقد خلق الله تعالى الإنسان مكرماً، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁴، وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾⁵. والتزكية هي التطهير بالإيمان والبعد عن المعاصي⁶، ويضاف إلى ذلك ذلك بتكريمها وهذا التكريم للنفس البشرية في مدينة " (مصدر) " بالمحافظة عليها وتوفير سبل العيش في بيئة سليمة.

ويتعلق مقصد حفظ النفس بأمرين:

1) الأول توفير أسباب القوة، ويتمثل الأول في مدينة (مصدر) بتوفير الهواء النظيف والبيئة الصالحة للعيش فيها التي تبلغ نسبة الكربون فيها صفر تقريباً، وهي تساهم بتطبيقها لنظام توليد الكهرباء النظيفة في خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون بمقدار 15 ألف طن سنوياً، ويعادل هذا إزالة 3300 سيارة من شوارع أبوظبي⁷. مما يعني تفادي إطلاق 23 ألف و 860 طناً من غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الغلاف الجوي، وقد سبق وذكرنا

¹ سورة النساء: 93.

² سورة الإسراء: 33.

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة في أيام منى، رقم: 1739.

⁴ سورة الإسراء: 70.

⁵ سورة الشمس: 9.

⁶ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 8\541.

⁷ جريدة الخليج، عدد (23\6\2012).

في الفصل الثاني، أن ارتفاع غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو يساهم فيما يسمى ظاهرة الاحتباس الحراري إضافةً إلى ما يسببه من أمراض، كالصداع المزمن وإتلاف للخلايا العصبية، إضافةً إلى أن الاختناق لا يقتصر على الإنسان بل يشمل حتى الكائنات الأخرى¹. وتعد البيئة الملوثة هي المسؤولة عن الإصابة بمرض السرطان، هذا ما أٌتفق عليه الباحثون حيث أكدوا أن 70%-90% من أنواع السرطان (مصدر)ها هو البيئة الملوثة، ودليلهم في ذلك أنها تنتشر في المدن الأكثر ازدحاماً وتقل في الريف².

(2) الثاني بدفع أسباب الضعف عنها كالأضرار "ف(مصدر)" تسهم بمشروعاتها العالمية في مجال الطاقة المتجددة حول العالم، في تقليل الانبعاثات الغازية الضارة بالبيئة والإنسان فمشروع "خيماصولار" في اسبانيا يسهم في تفادي إطلاق 30 ألف طن سنوياً من انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون سنوياً، أما مشروع "مصفوفة لندن"، فيسهم هو الآخر في خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون بمقدار 1,9 مليون طن سنوياً³. وهذا يعني أن كل انخفاض في نسبة الغازات السامة في الجو، هو انخفاض في نسبة الأمراض والوفيات بسبب تلوث الهواء قال تعالى: "وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"⁴.

وعلى المستوى المحلي تعمل "(مصدر) لإدارة الكربون" بتجارب داخل الدولة بالتعاون مع "أدنوك" لالتقاط غاز ثاني أكسيد الكربون وإعادة نقله بأنابيب وحرقه في آبار النفط مرة أخرى، مما يعزز الطاقة الإنتاجية للنفط، ويخفض في الوقت نفسه نسبة الانبعاثات الغازية في الغلاف الجوي⁵.

وعلى المستوى العالمي تقوم "(مصدر) لإدارة الكربون" بمشروع بحثي مع وزارة الطاقة الأمريكية على تطوير تقنيات التقاط وتخزين الكربون، في مسعى إلى تحقيق خفض حقيقي في تكاليف التقاط ثاني أكسيد الكربون عبر استخدام أحدث التقنيات في العصر الحالي⁶.

¹ التلوث البيئي وأنواع التلوث، 81. والنظام البيئي وصحة المجتمع، 43.

² البيئة والصحة، د. علي المكاوي، 86.

³ مجلة البيئة والمجتمع، عدد (101)، (5\6\2011).

⁴ سورة المائدة: 32.

⁵ محاضرة للدكتور سلطان الجابر بعنوان (الإمارات زيادة مستمرة)، جريدة الخليج، ص 10 (18\ديسمبر\2012).

⁶ أخبار النفط والصناعة، عدد (442)، (سبتمبر\2011).

ثالثاً: مقصد حفظ النسل في مدينة (مصدر).

يشكل الفرد النواة الحقيقية للمجتمع، وحفظ النسل حفظاً للمجتمع بأكمله، لأنه يترتب على فقدانه ضياع لاستمرار الوجود الإنساني، ومهمة الخلافة في الأرض تحتاج كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، إلى توفر البيئة المناسبة لتكوين أسرة تحمل صفة الاستمرارية لحمل الأمانة. وقد تحدث رسول الله ﷺ عن النظافة بصفة عامة وشاملة.

فإتلاف أي عضو في أعضاء الإنسان هو إتلاف للجسم كله، قال عليه الصلاة والسلام: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"¹. يتبين من هذا الحديث أن الجسد كله متكامل، وإتلاف أي عضو منه يؤثر على باقي الجسد.

فاستخدام الطاقة التقليدية يؤدي إلى تلوث البيئة بالغازات السامة والمخلفات الصلبة، سواء كان في ذلك الأرض أو الهواء أو الماء، فاستنشاق غاز ثاني أكسيد الكربون يسبب الإصابة بأمراض الجهاز الصدري كالربو الذي بلغت نسبة الإصابة به عند الأطفال في دولة الإمارات المتحدة 40%²، والتعرض المستمر لمادة الرصاص في الهواء يؤدي إلى أضرار بالغة مثل نقص وزن الجنين وإعاقة نمو خلايا المخ وسائر الخلايا العصبية لديه، مما يؤدي إلى إتلاف المادة الوراثية، مسببة أضراراً كبيرة منها إنجاب أطفال مشوهين أو متخلفين عقلياً³. وتؤدي مركبات الرصاص إلى نقص في كريات الدم الحمراء في الجسم، كما تتركز في الجهاز العصبي، وعندما يزداد ترسبها في جسم الأطفال فإنها تضعف ذكائهم وتؤثر على حالتهم العقلية⁴.

ومن المفاصل التي تضر بحفظ النسل، نزول المصائب وحلول الكوارث والمحن، وتعتبر التغيرات المناخية التي يشهدها العالم في وقتنا الحالي من إحدى تلك العوامل، فالتلوث البيئي هو أحد أسباب نزول الكوارث كالفيضانات التي تجرف قرية بأكملها، أو

¹ متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم: 52. ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم: 1599.

² جريدة الإمارات اليوم: -11-04-2012/other/local-section/other/2012-04-11-1.475629

³ التلوث البيئي وأنواع التلوث، 78-79.

⁴ البيئة والصحة، 81.

الجفاف الذي يسبب المجاعة، مما يترتب على ذلك وفاة اعداد كبيرة من البشر، وبالأخص صغار السن.

فجاءت مشروعات "(مصدر) للطاقة"، في دولة الإمارات وخارجها صديقة للبيئة، تحفظها من التلوث التي تسببها مصادر الطاقة التقليدية، ففي حفظها حفظ للكيان الإنساني كله.

يضاف إلى ذلك البحوث التي يعكف الخبراء والطلاب في معهد (مصدر) على تطويرها بهدف رفع كفاءة التكنولوجيا والعلوم المتعلقة بالطاقة المتجددة التي تحافظ على البيئة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾¹. فالمحيط المادي الذي خلقه الله سبحانه وتعالى لأجل القيام بمهمة الخلافة، لا من أجل إفسادها ولذلك جاءت الأحكام بعدم الافساد والبحث عن وسائل استغلال هذا المحيط بالطرق الصحيحة التي تؤدي إلى جلب المصالح للحياة الإنسانية ودفع المفاسد والأضرار عنها.

ومن الأسس التي يحفظ بها المجتمع هو حفظ المؤسسات الموجودة فيه، ولا يقتصر هذا على المؤسسات التي ترعى الأسرة من جانب التشريع فقط، ولكنه يشمل حتى المؤسسات التي توفر الجو المناسب لتكوين الأسرة، فالأمر بإنشاء شركة (مصدر) بأقسامها يدخل ضمن الأمر بالمعروف، الذي يقصد من خلاله إلى الحفاظ على المجتمع، أي المحافظة على نواته وهو الفرد، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾². فالدولة وصية على حفظ المجتمع ورعايته، وهذه الرعاية تكون في خط واحد متوازي مع التوجيه الديني، فالأمة لا تجتمع على ضلالة.

رابعاً: مقصد حفظ العقل في مدينة (مصدر).

من أعظم النعم التي منّ الله تعالى بها على الإنسان نعمة العقل، لذا نجد الشريعة الإسلامية تشجع على كل ما يحفظ هذا المقصد، بالتعليم الذي يفضي إلى مزيد من المعرفة، والمحافظة على صحة الجسم والعقل، فالعقل السليم يلزمه جسم سليم، وحرمت كلّ ما من شأنه إفساد العقل وإدخال الخلل عليه.

¹ سورة الجاثية:13.

² سورة آل عمران:104.

فأولى آيات القرآن الكريم التي نزلت تدعو للقراءة والمعرفة، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾¹. ورفع الله تعالى من مكانة العلم والعلماء فقال سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾²، وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾³. وقرن الله تعالى بين العلم والإيمان فقال سبحانه: "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"⁴. ويتكرر لفظ العلم في الآيات ويذكر قبل وبعد خلق الإنسان، وكأن العلم والتعليم من أولويات الفرد كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾⁵.

ويمثل التلوث الهوائي سبباً مباشراً في السكتة الدماغية، بحسب ما توصل إليه الباحثون في الولايات المتحدة الأمريكية، الإنسان الذي يتعرض للمواد الملوثة يزيد لديه احتمال الإصابة بالسكتة الدماغية⁶.

وتساهم الأبحاث العلمية التي يقدمها "معهد (مصدر)" في المحافظة على العقل باستثماره في تطوير مشروعات تساعد على حفظ البيئة كمشروع الألواح الشمسية في مدينة (مصدر)، ومشروع شمس 1 في المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي⁷، وتطوير تقنيات توفر الطاقة بدون آثار سلبية على البيئة، ومن خلال طرح برامج للماجستير والدكتوراه، في مجال الأبحاث والتكنولوجيا المتقدمة في الطاقة المتجددة، وهي علوم ترعاها وتدعمها حكومة أبوظبي لإيمانها الكامل بأهمية الإنسان، وترسيخ مكانة الإمارات كمركز للعلم والمعرفة.

¹ سورة العلق: 1-5.

² سورة الزمر: 9.

³ سورة آل عمران: 18.

⁴ سورة المجادلة: 11.

⁵ سورة الرحمن: 1-4.

⁶ مجلة البيئة والمجتمع، عدد 111 (أبريل 2012)، 52.

⁷ مشروع شمس 1، تمت زيارة الموقع (2020/11/22).

خامساً: مقصد حفظ المال في مدينة (مصدر):

إن المال هو عصب الحياة، وبه تقوم مصالح العباد، ولذا شدد الله تعالى على حفظه، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا¹﴾. ويعتبر الاستثمار من أهم وسائل حفظ المال، و(مصدر) تنتهج في حفظ هذا المقصد الذي يرتبط بالبيئة، الاستثمار المباشر الذي يتولى إدارته (مصدر) للاستثمار، ومن جهة أخرى يتوجه هذا الصندوق الاستثماري بالتعاون مع بنوك دولية أخرى إلى تشجيع الصناعات والمبادرات التي تسهم في تطوير تكنولوجيا الطاقة المتجددة، من خلال دعم الشركات الصغيرة في أبحاثها المتعلقة بالطاقة المتجددة. وفي هذا تطبيق للحديث النبوي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ"².

كما أن هذه المشروعات توفر فرصاً للعمل، كما تعمل على بناء أحياء ومجتمعات جديدة في المناطق الريفية ففي مشروع " شمس 1" تصل نسبة مواطني الدولة ما يقارب الـ 35 %، قال تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"³.

إضافةً إلى أنها تحرك العجلة الاقتصادية في الدولة من خلال إقامة مشروعات مرتبطة بالطاقة المتجددة، مثل مشروع " نور 1" للألواح الكهروضوئية في العين بالمنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي، الذي تبلغ طاقته الإنتاجية 100 ميغاوات ليكون بذلك أحد أكبر المشاريع من نوعها على مستوى العالم.⁴

ومن جهة أخرى يعتبر مشروع مدينة (مصدر) من المشروعات التي تحقق مقصد حفظ المال لأن استخدام الطاقة المتجددة يعني التقليل من استنزاف الموارد الطبيعية كالنفط والبتروول والغاز الطبيعي، فلا يؤدي إلى نضوبها، وكذلك يقلل من التلوث البيئي الذي يلحق خسائر مالية كبيرة بالاقتصاد.⁵

¹ سورة النساء: 5.

² أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفصول المال، حديث رقم: 1728.

³ سورة الملك: 15.

⁴ مجلة البيئة والمجتمع، 10، (يونيو\2011).

⁵ مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد 378 (أغسطس\2012)، 56.

الخاتمة:

لقد من الله علي بفضلله وكرمه بإتمام هذا البحث الذي تناولت فيه البيئة في مقاصد الشريعة وجهود دولة الإمارات العربية المتحدة في الحفاظ عليها، من خلال عرض أنموذج مدينة مصدر في تطبيق الطاقة المتجددة في دولة الإمارات العربية المتحدة والتي تعتبر أول مدينة خالية من الكربون بحسب تصريح المسؤولين عن المدينة.

وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة للمحافظة على البيئة، نجد أن العالم العربي يخسر سنوياً 20 مليار دولار بسبب التلوث، مما يجعلنا نعيد النظر في السياسات التي تتبعها الدول العربية خاصة في مجال مكافحة التلوث، والبحث عن طرق أكثر فعالية. وتعتبر الطاقة المتجددة قناة من قنوات المحافظة على البيئة، وإن كانت محدودة نوعاً ما، إما بسبب ارتفاع تكاليفها، مما لا يدفع المستثمرين لاستغلال هذه الطاقة في مشاريعهم بشكل كبير أو بسبب غياب القوانين والتشريعات المنظمة لها.

وفي الختام يمكننا القول إن حفظ البيئة هو مقصد من مقاصد الشريعة فإذا ما تم حفظ البيئة فإننا نحفظ جميع مقاصد الشريعة الضرورية، ويتمثل ذلك في حديث رسول الله ﷺ، حيث قال: ﴿مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَّادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا﴾¹، وهذا الحديث المروي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يمثل حياة الإنسان في هذه الدنيا كأنه يعيش في سفينة وهي البيئة المحيطة به، فإن هو سلم فقد سلم غيره، وإن أصابه ضرر أصاب غيره، والمحافظة عليها سلامة له ولغيره، والإضرار بها إضراراً للجميع.

أهم النتائج:

1. اهتمام الشريعة الإسلامية بقضايا البيئة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.
2. معرفة مقاصد الشريعة تمكن الإنسان من معرفة غاية الشرع من الأحكام.

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيها، رقم: 2493، وكتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، رقم: 2686. وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن، باب منه، رقم: 2173.

3. للطاقة التقليدية سلبات تطغى على إيجابياتها، من أهمها الزيادة الكبيرة لغاز ثاني أكسيد الكربون، وتأثيره الضار على صحة الإنسان، كما يعد أحد الأسباب الرئيسية لظاهرة الاحتباس الحراري.
4. الطاقة المتجددة هي مكمل للطاقات التقليدية.
5. مدينة (مصدر) هي ثمرة جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في حماية البيئة منذ تأسيسها، وتعتبر مدينة مصدر أول مدينة خالية من الكربون في العالم.
6. أصدرت دولة الإمارات العربية المتحدة القوانين والسياسات الخاصة في مجال مكافحة التلوث، وتنظيم استخدام الطاقة المتجددة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
01. إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، غريب الحديث، تحقيق د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1405 هـ.
 02. إبراهيم بن موسى اللخميّ الغرناطي (أبو إسحاق الشاطبي)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق د. محمد الإسكندراني- عدنان درويش، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي، 1429 هـ / 2008 م.
 03. ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، 2009 م.
 04. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
 05. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، الطبعة الثانية، 1971 م.
 06. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، 1993 م.
 07. أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1392 هـ.
 08. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1995.
 09. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - صيدا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، 1411 - 1990.
 10. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.

حماية البيئة في مقاصد الشريعة الإسلامية (مدينة مصدر أنموذجاً)

11. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
12. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
13. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الطبعة الثانية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1992 م.
14. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986 م.
15. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.
16. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2008.
17. تقي الدين ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تحقيق مجموعة من المحققين، عالم النشر، 1987.
18. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، الطبعة الخامسة، 1420 هـ / 1999 م.
19. سعدى أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دمشق - سورية، دار الفكر، الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988 م.
20. عبد الغني فخر الحسن الدهلوي، شرح سنن ابن ماجه، كراتشي، بيت الأفكار الدولية، 2007.
21. علي محمد المكاوي، البيئة والصحة (دراسة في علة الاجتماع الطلب)، دار المعرفة الجامعية، مصر- إسكندرية، 1995.
22. كوثر ابو عين، النظام البيئي وصحة المجتمع، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2006.
23. مال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الرازي، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1404 هـ - 1984.
24. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت- لبنان، المكتبة العلمية، 1399 هـ - 1979 م.
25. صالح وهي، البيئة من منظور إسلامي، دمشق، المطبعة العلمية، الطبعة الأولى، 2004 م.
26. حمد جابر، التربية البيئية في الإسلام، دبي-الإمارات، دار القلم، الطبعة الأولى، 2005 م.
27. يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1994 م.
28. مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، 2004.
29. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1995.
30. محمد السيد عجورة، التلوث البيئي وأنواع التلوث، دار التعليم الجامعي، الأسكندرية، 2010.

32. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2001.
33. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984.
34. محمد بن المستنير بن أحمد، الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق د حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1405 هـ - 1985.
35. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
37. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دمشق، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى - 1414 هـ
38. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1395 هـ - 1975.
39. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، 2008.
40. محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، 1414 هـ
41. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2006.
42. منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض - السعودية، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1997.
43. نور الدين السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، بيروت - لبنان، دار الجيل.

المجلات والصحف الدورية:

- أخبار النفط والصناعة (وزارة الطاقة) أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة: عدد (490)، (يوليو\2011)، عدد (442)، (سبتمبر\2011).
- جريدة الامارات اليوم، دبي- الإمارات العربية المتحدة:
<http://www.emaratalyoun.com/local-section/other/2012-04-11-1.475629>
- جريدة الخليج، الشارقة- الإمارات العربية المتحدة:
(5\6\2012)، (18\12\2012).
- مجلة الاقتصاد الإسلامي (بنك دبي الإسلامي)، دبي- الإمارات العربية المتحدة: العدد (335)، سبتمبر 2010، العدد 378 (أغسطس\2012).
- مجلة البيئة والمجتمع (مؤسسة زايد الدولية للبيئة)، دبي - الإمارات العربية المتحدة:
(يونيو\2011)، (ابريل\2012).